سلسلة
من علماء الإسلام

٢

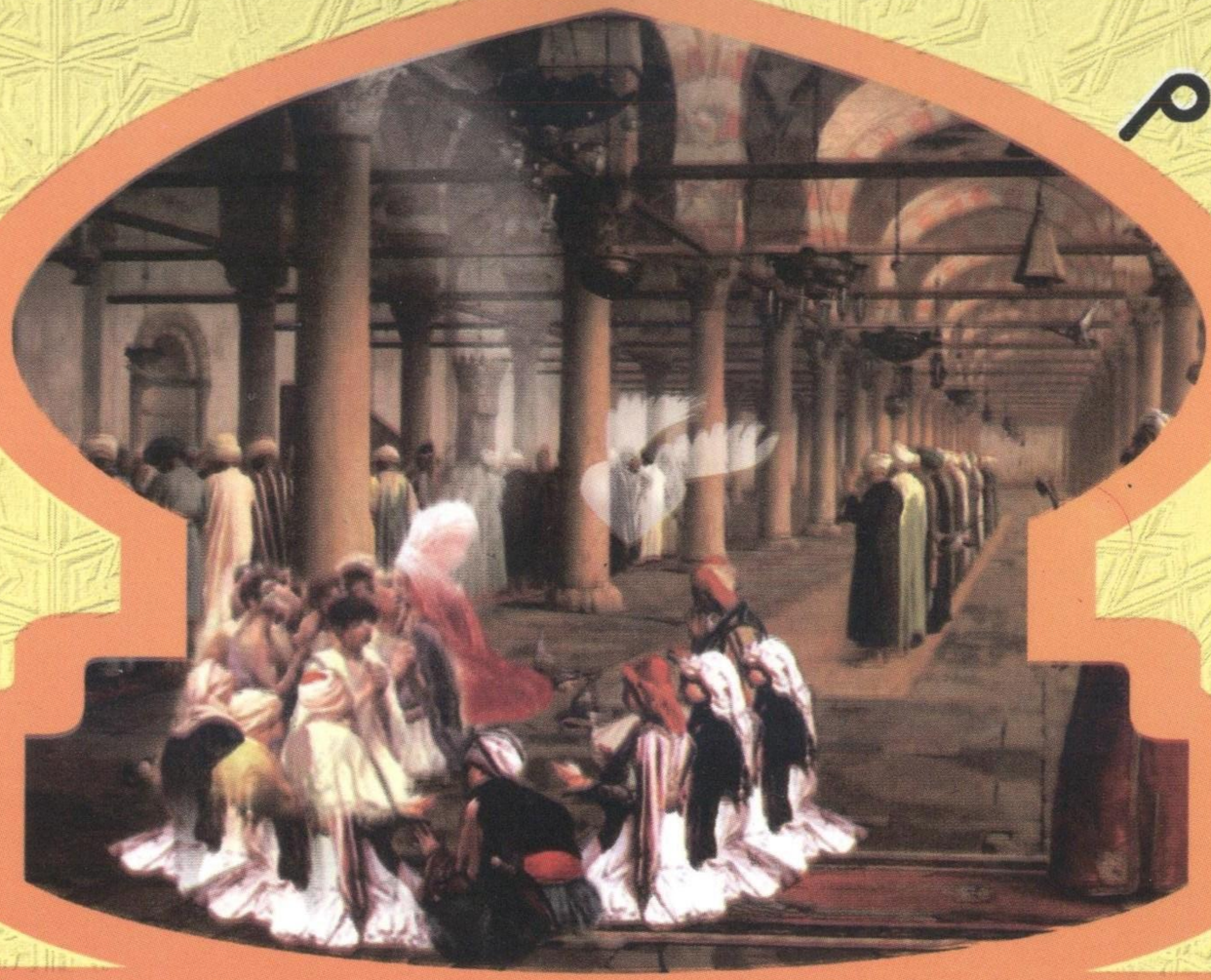

الإمام الشافعي
(الفقيه الشاعر)

تأليف
إيهاب سعيد النجمي
أحمد سعيد النجمي

إيتراك
للطباعة والنشر والتوزيع

سلسلة من علماء الإسلام

٢

الإمام
الشافعي

(الفقيه الشاعر)

تأليف

إيهاب سعيد النجمي

أحمد سعيد النجمي

عاد الأب بعد أن أدّى صلاة العشاء في المسجد ومعه ولده كريم يسير برفقته [1] .... رَاجِعَيْنِ إلى المنزل وهما يتحدثان عن صلاة العشاء وفَضْلِها وفَضْلِ الصلاة في المسجد والصلاة في جماعة وفجأة ... تذكَّر كريم سؤالاً كان يُلحُّ عليه منذ فترة طويلة وكان يريد أن يسأل فيه أباه .

قال كريم لأبيه : اسمح لي يا أبي عندي سؤال يُؤَرِّقُنِي [2] كثيرًا ولا أعرفُ إجابته.

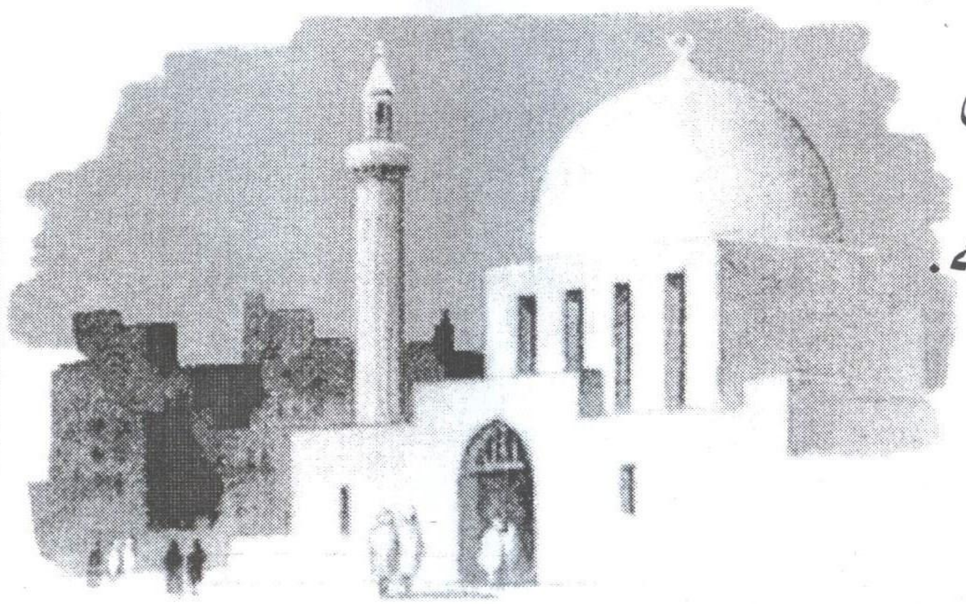

---

(١) رفقته : صحبته

(٢) يؤرقني : يشغلني بشدة

الأب : تكلم يا كريم .. تكلم يا بني .

كريم : والدي ، حَدَّثْتَنِي كثيرًا عن الصلوات وعن أدائها وفضلها وكيفيتها وقلتَ لي إن هذا الأمر يسمى " فقهًا " ولكني عندما جلستُ مع نفسي شغلتني هذه الكلمة ..

كلمة (فقه) ما معناها ؟ وعلامَ تدل هذه الكلمة ؟

الأب : أحسنت يا ولدي فكثيرًا ما أذكر لأمك أنك ستكون ولدًا نابهًا لا يَمُرُّ عليــك أيّ شيءٍ دون أن تسأل عنه حتى تعرفه وخصوصًا

في أمور دينك ... أليس كذلك يا أم كريم ؟

أم كريم : بلى .. بلى ، إنك كثيرًا ما ذكرت لي هذا الأمر وأشرت إلى نبوغ كريم .

الأب : سبحان الله العظيم ... لقد كان في خاطري [1] قبل صلاة العشاء أن أُحَدِّثَ كريمًا عن أحد علماء أمتنا كعادتي معه دائمًا . وقد اخترت له هذه الليلة شخصية فقهية تناسب سؤاله .

أما بالنسبة لسؤالك يا ولدي .... " فالفقه " هذا في ديننا الحنيف يعني كل شيء ... يعني كيفية الصلاة ، وكيفية الزكاة ، وكيف

---

(١) خاطري : بالي

تصوم ، وكيف تحج بيت الله الحرام ، وكيف تؤدي عبادتك مع الله وكيف تتعامل مع الآخرين من المسلمين ومن غير المسلمين حتى تصير مسلمًا نافعًا ملتزمًا بدينك .

كريم : ولكنك يا أبي ذكرت قبل قليل أنك ستتحدث عن شخصية فقهية هامة .

الأب : نعم يا ولدي ، فأنا اليوم اخترت لك شخصية عظيمة حقًّا من شخصيات علماء الإسلام ليس في الفقه فحسب ،

ولكن في جوانبَ كثيرةٍ جدًا ، إنه ـ يا ولدي ـ الإمام " الشافعي "

كريم : الإمام الشافعي ؟!! من هو يا أبي وما قصته ؟

الأب : الشافعي - يا ولدي- هو محمد بن إدريس الشافعي ، ولد في غزة عام ١٥٠هـ أتعرفها يا بني ؟

كريم : نعم يا أبي أعرفها ، إنها في فلسطين المحتلة حررها الله من أيدي الغاصبين [١] .

الوالد : آمين .. آمين .. بارك الله فيك ـ يا ولدي ـ فقد وُلِدَ في هذا العام .. ومن الأمور العجيبة يا كريم أنه وُلِدَ في نفس السنة التى مات فيها عالمٌ فقيه أيضًا هو الإمام أبو حنيفة حتى إنهم قالوا : " **ماتَ إمامٌ ووُلِدَ إمامٌ** " .

---

(١) الغاصبين : المحتلين

وسأحدِّثُكَ أولَ ما أحدثك عنه ـ يا ولدي ـ عن طلبه للعلم وهذا أمر مهم جدًا يجب أن يُعَلِّمَهُ الآباءُ أبناءَهُمْ من سِيَرِ هؤلاء الأعلام المسلمين

كريم : إنني دائمًا يا والدي أحب أن أسمعَ سِيَرَ هؤلاء العظماء ، آه .. يا ليتني وُلِدْتُ في زمانهم حتى أتشرف برؤيتهم .

الأب (وهو يبتسم) : يا ولدي لم يَفُتْنَا الكثير ، فقد وصلتنا كتاباتُهم ، وعندما تقرأُ لواحدٍ منهم فكأنك عشتَ وجلستَ معه ، وأخذتَ عنه العلمَ ، أليس كذلك يا ولدي ؟

كريم : بلى يا والدي ، ولكن كيف كان طلبهُ للعلمِ ، هل كان متفوقًا وهو صغير ؟

الأب : نعم يا بني ، اسمَعْ هذا الموقف الذي يحكيه هو بنفسه فهو يقول : " كنتُ في الكُتَّاب [1] أَسْمَعُ المُعَلِّمَ يُلَقِّنُ [2] الصَّبِيَّ الآيَةَ فَأَحْفَظها أنا ولقد كنت قبل أن يفرغَ المعلمُ من الإملاءِ أكونُ قد حَفِظتُ جَميعَ ما أَمْلَى " .

كريم : يا سبحان الله ، كان يحفظ كل ما يُمْلِيهِ المُعلمُ ؟!

---

(١) الكتاب : مكتب تحفيظ الكريم.

(٢) يلقن : يُحَفّظ.

الأب : نعم يا بنيَّ ، وكان أيضًا بعد أن يخرج من الكتَّاب يلتقطُ الفخَّار والجلود وأغصانَ النخلِ العريضة الغليظة فيكتب عليها حديث رسول الله ﷺ وكان يذهب إلى الباديةِ [1] فيتعلم من كلامهم ويأخذ من طبعهم .

كريم : ولماذا يتعلم من البادية يا أبتي ؟

الأب : لأن الباديةَ في ذلك الوقت كانت نقيةً يا بني لم يدخلها الأعَاجِمُ [2] فتختلطَ لغتهُم بلغتِهِم .

كريم : نعم يا أبي ، وعلى هذا الأمر لابد وأن يكون ذهب إلى أفصح قبائل العرب .

---

(١) البادية : الصحراء ، وأهل البادية هم أهل الفصاحة

(٢) الأعاجم : غير العرب

الأب : أحسنتَ يا كريم فأنت حقًا ولدٌ نابهٌ ، كنتُ سأذكرُ لك توًّا [1] اسم هذه القبيلة إنها " هُذَيْلُ " فهي أفصحُ قبائلِ العربِ في ذلك الوقت .

كريم : هل تعرف يا أبي كم المدة التي قضاها هناك كي يتعلَّمَ فيها الفصاحة ؟

الأب : لقد ظلَّ هناك يا بنيَّ سَبْعَ عَشْرَةَ سنةً يرحلُ برحيلهم وينزلُ [2] بنزولهم .. وعندما عاد إلى مكة ظل يُنْشِدُ الأشعار والأخبار والآداب ومن هنا بدأت قصته مع الفقه يا بني .

كريم : اسمح لي يا أبي أن أقاطعك دقيقةً واحدةً ، أنت تقول " ومن هنا بدأت قصته مع الفقه " ، ما علاقة هذا بالفقه ؟

---

(١) توًّا : في الحال .

(٢) يرحل : يسافر ، وينزل : يقيم ويستقر

الأب : نعم يا بني ، فقد حدث موقف يحكيه الإمام الشافعي نفسه يوضح لك ما تسأل عنه ، فهو يقول : مرَّ بي الزُّبَيْرِيِّيْنِ [١] من بني عمي فقالا لي : يا أبا عبد الله عزَّ علينا ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقهٌ فيكون قد سُدْتَ أهلَ زمانك ، فعلم أن من أعلمِ أهل زمانه في الفقه هو الإمام مالك ... أتدري ماذا فعلَ يا بني ؟

كريم : ماذا فعلَ يا أبي ؟

الأب : حَفِظَ مُوطَّأَ [٢] الإمام مالك كاملاً في تسع ليالٍ .

كريم : سبحان الله يا والدي ، أتحدثني عن بشرٍ ؟!.

---

(١) الزُّبَيْرِيِّيْنِ : هما أبناء عمِّ الشافعي .

(٢) الموطأ : هو اسم الكتاب الذي ألفَهُ الإمام مالك .

الأب : نعم يا بني ، إنها بركة الله عز وجل ، لأنهم كانوا دائمًا مع الله .

كريم : وماذا عن أخباره أيضًا يا أبي ؟

الأب : كان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يا ولدي ، يجلسُ في حلقته إذا صلى الصبحَ ؛ فيجيئهُ أهل القرآن فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيرَهُ ومَعَانِيَهُ ، فإذا ارتفعت الشمس قاموا وتكون الحلقة للمذاكرة والنظر ، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعَرُوضِ [1] والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انقضاء النهار ثم ينصرف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

---

(١) العروض : هو أحد علوم اللغة العربية والذي يهتم بموسيقى الشعر وأوزانه

كريم : وماذا عن عبادته يا أبي ؟

الأب : أذكر لك موقفًا واحدًا يا كريم وهو وحده كفيل بأن يَقِفَكَ [١] على ورع وعبادة الإمام .

كريم : وما هو يا أبي ؟

الأب : كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين مرة وكل ذلك في الصلاة . آهٍ يا بني ... لقد قال الإمام " أحمدُ " عنه ... ما مسَّ أحدٌ مِحْبَرَةً [٢] ولا قلمًا إلا وللشافعي في عنقه منَّة [٣] " .

---

(١) يقفك على : يدلك على (٢) المحبرة : دواة الحبر (٣) منة : فضل

كريم : هل ترك لنا شعرًا يا أبي ؟

الأب : نعم يا بني ، لقد ترك لنا ديوانًا ليس بالكثير ولكنه شعر حكْميٌّ [1] رائع يا بني .

كريم : أتحفظ منه شيئًا يا والدي ؟

الأب : نعم يا بني ، يقول الإمام الشافعي :

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ [2] سُوءَ حِفْظِي
فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِـــي بأَنَّ الْعِلْـــمَ نُـــــورٌ
وَنُـــورُ اللهِ لا يُهْـــــدَى لعَـاصٍ

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي
فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ
وَنُورُ اللهِ لا يُهْدَى لعَاصٍ

---

(١) حكمي : شعر فيه حكمة .

(٢) وكيع : أستاذ من أساتذة الشافعي

كريم : وماذا له أيضًا يا أبي ؟

الأب : له بيتانِ جميلانِ يقول فيهما :

أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْـــمَ إلا بِسِتَّةٍ

سَأُنْبِيكَ (١) عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانِ

ذَكَاءٍ وَحِرْصٍ واجْتِهَادٍ وَبلْغَةٍ (٢)

وَصُحْبَةِ أُسْتَاذٍ وَطُولِ زَمَـــانِ

يا له من عالم لا يُشَقُّ له غبار يا كريم .

كريم : وَمتى تُوُفِّي يا أبي ؟

الأب : تُوُفِّي الشافعيُّ ليلة الجمعة بعد العشاء آخر يوم من رجب ، ودفن يوم

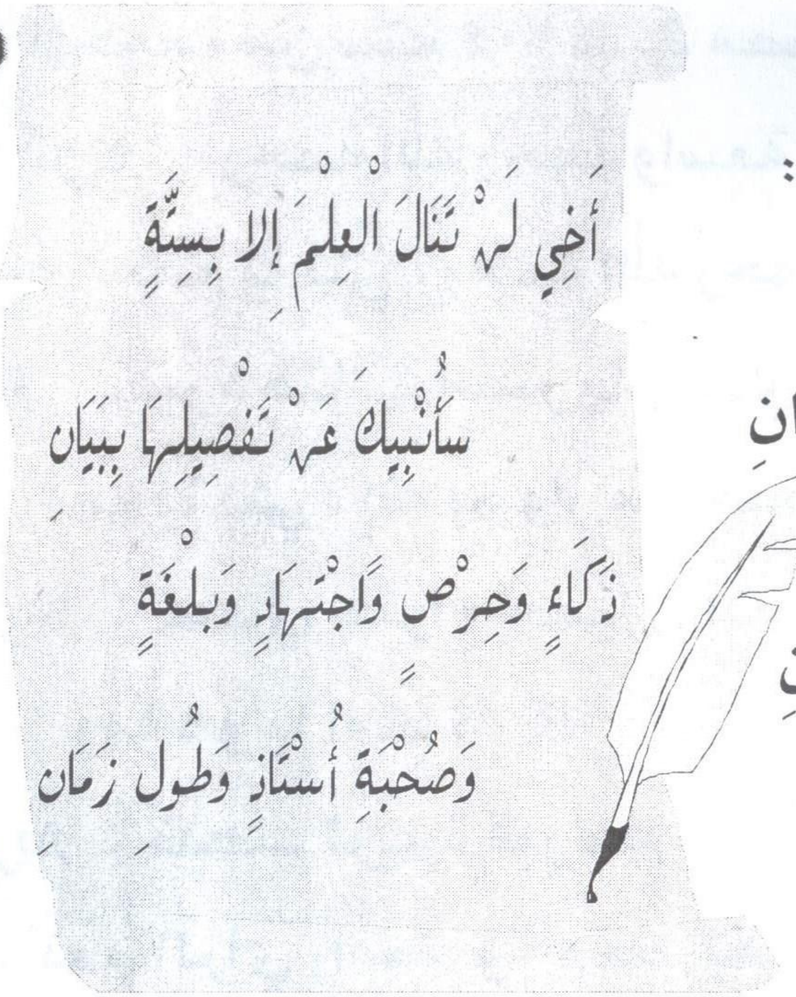

---

(١) سأنبيك : سأخبرك

(٢) البلغة : المال الذي يبلغك حاجتك

الجمعة من سنة ٢٠٤ هـ في مصر .

كريم : رحمه الله رحمة واسعة يا أبي .

الأب : نعم يا بني ، رحمه الله رحمة واسعة .

كريم : أقبره هنا في مصر يا والدي ؟

الأب : نعم يا بني ، إنه بجوار مسجده في القاهرة .

أم كريم : عندي اقتراح جميل ، أتمنى أن يعجبكم .

كريم : وما هو يا أُمَّاهُ ؟

أم كريم : نذهب لزيارة قبره يوم الجمعة القادمة .

الأب : نِعْمَ الرأيُ رَأْيُكِ يا أم كريم .

كريم : وأنا أتشوق لرؤية قبره يا أبت. الأب : رحمه الله رحمة واسعة يا بني.

كريم : رحمه الله رحمة واسعة يا أبتِ .

أم كريم : رحمه الله رحمة واسعة يا بني ، ونفعك بعلمه إن شاء الله